

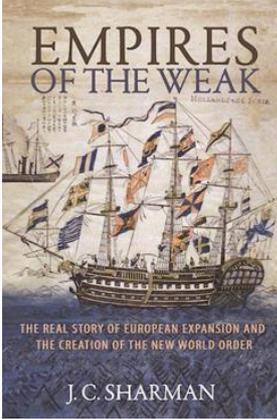


شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

أوراق في التاريخ الاقتصادي

مراجعة كتاب



جي سي شارمان. إمبراطوريات الضعفاء: القصة الحقيقية للتوسع الأوروبي وخلق النظام العالمي الجديد

المراجع: أندرو لامبرت*
ترجمة: مصباح كمال**

جي سي شارمان. إمبراطوريات الضعفاء: القصة الحقيقية للتوسع الأوروبي وخلق النظام العالمي الجديد. برينستون: مطبعة جامعة برينستون، 2020. 216 pp. + xiv. 17.95 دولارًا (غلاف عادي)، ISBN 976-0-691-21007-0

J. C. Sharman. *Empires of the Weak: The Real Story of European Expansion and the Creation of the New World Order*. Princeton: Princeton University Press, 2020. xiv + 216 pp. \$17.95 (paperback), ISBN 976-0-691-21007-0.

Published by EH.Net (December 2022).
Copyright (c) 2022 by EH.Net. All rights reserved.

يمكن قراءة النص الأصلي للمراجعة باستخدام هذا الرابط:

https://eh.net/book_reviews/empires-of-the-weak-the-real-story-of-european-expansion-and-the-creation-of-the-new-world-order/

يقدم هذا الكتاب نقدًا لامعًا لأطروحة "الثورة العسكرية" 'Military Revolution' التي نوقشت كثيرًا حول التوسع الأوروبي. ويلتقط شارمان جوانب ثاقبة من جيفري باركر وجيريمي بلاك Geoffrey Parker and Jeremy Black، اللذين أدركا الثغرات في الحجة [بشأن التوسع الأوروبي]، ويدمج عمل الباحثين الذين يدرسون الحرب خارج العالم الأوروبي، لفتح مجال جديد لمناقشة الأطروحة. إن تقويض المؤلف للاستنتاجات التي تعتمد على الأساطير القديمة حول التفوق العسكري الأوروبي على الإمبراطوريات والدول الآسيوية والإفريقية جاءت مقنعة.



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

أوراق في التاريخ الاقتصادي

قبل خمسينيات القرن الثامن عشر، لم تستخدم القوى الأوروبية أساليب "الثورة العسكرية" أو القوات الكبيرة في إفريقيا أو آسيا أو أمريكا. في آسيا، كان الأوروبيون يتضرعون في بلاطات الموغول Mughal [في الهند] والمينغ Ming [في الصين]، حريصين على التجارة، لأنهم لم يتمكنوا من الانتصار. فقد كانت الإمبراطورية الآسيوية البرتغالية المكتسبة بشق الأنفس تقتصر فعلياً على فرض ضرائب على التجارة البحرية في البحر والسيطرة على عدد قليل من الموانئ الرئيسية. واستخدمت القوى الإيبيرية [إسبانيا والبرتغال] باستمرار أرباحاً مستمدة من خارج أوروبا لتمويل الحروب في أوروبا وشمال إفريقيا، وكانت نتائج هذه الحروب محدودة للغاية. ففي شمال إفريقيا، لم تؤدي قرون من الجهد الواسع النطاق إلا إلى عدد قليل من الجيوب المحصنة التي كان الدفاع عنها تكلف أكثر بكثير مما يمكن توليده من التجارة. لقد كانت هذه المشاريع القائمة على الغرور باهظة الثمن، ولم تكن مشاريع لبناء إمبراطورية.

إن الحملات الأكثر طموحاً انتهت ككوارث. فقد كشفت هزيمة الجيش البرتغالي الغازي، الذي كان أكبر بكثير من أي قوة مرسلت إلى آسيا، من قبل القوات المغربية في معركة القصر الكبير [في شمال المغرب] في عام 1578، كشفت عن الأهداف الأساسية لسلسلة أفيس Avis Dynasty البرتغالية، شن الحرب وتوسيع قاعدة الموارد لدولة صغيرة. هذه المقامرة الضخمة، التي مؤلتها أرباح التجارة الأفريقية والآسيوية، أنهت سلسلة أفيس وانتهت بتسليم المملكة إلى إسبانيا. لقد استخدمت المغاربة الأسرى البرتغاليين والمرتزقة لتوسيع إمبراطوريتهم عبر الصحراء، للسيطرة على تجارة الذهب. وضاهى المغاربة البرتغاليين بالبنادق والمدافع، بينما ضمنت المعرفة المحلية والقيادة الفعالة وسلاح الفرسان المتفوق النصر للمغاربة. في أماكن أخرى، سيطرت الإمبراطورية العثمانية على أوروبا الشرقية لفترة طويلة حتى القرن الثامن عشر، وهو نظام تفكك نتيجة التغييرات القانونية والاقتصادية في ملكية الأرض، بدلاً من "الثورة العسكرية".

كانت الثورة الصناعية هي الثورة التي أعطت الغرب ميزة نوعية، بينما كان انهيار الإمبراطوريات الآسيوية العظيمة، الموغول والمانشو في الصين، نابغاً بشكل أساسي من التحديات الداخلية. لقد سيطر الأوروبيون على إفريقيا وآسيا بعد فترة طويلة من انتهاء "الثورة العسكرية"، وأعادوا صياغة التأثير التافه لسلاطنتهم، وعززوا المفاهيم المعاصرة لـ "التفوق" 'superiority'. ويستخدم شارمان نهاية هذه الإمبراطوريات الأوروبية لإبراز نسبية الافتراضات القديمة. هذا يثير سؤالاً واضحاً: ما هو الغرض من هذه الإمبراطوريات الأوروبية؟ في حالة ما قبل الثورة كانت هيبية وعظمة 'prestige and grandeur' فرنسا أكثر أهمية من التجارة، بينما تُركت جهود بناء



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

أوراق في التاريخ الاقتصادي

الإمبراطورية الهولندية والإنجليزية/البريطانية للشركات المأذونة chartered companies¹ في القرن التاسع عشر، كانت العديد من الإمبراطوريات "الجديدة"، ولا سيما إمبراطورية ألمانيا، مدفوعة بالقلق على وضعها.

يُثبتُ شارمان بشكل حاسم أن تفسير "الثورة العسكرية" للإمبريالية الغربية، الذي نشأ في العصور الأخيرة من تاريخ الإمبراطوريات الغربية، قد طُبّق بأثر رجعي على الفترة ما بين 1500 و 1800 عندما كان من الواضح أنه غير ذي صلة. لقد كانت أولوية القوى الأوروبية وباستمرار هي النزاع في قارتهم أو بجوارها مباشرة بدلاً من إنشاء إمبراطوريات بحرية بعيدة. وكان التعامل مع هذه الإمبراطوريات يقوم في المقام الأول على اعتبارها مصدراً للأموال للتوسع الأوروبي. وهكذا فقد كانت الرؤية الإمبراطورية لوالتر رالي Walter Raleigh [1618-1552]² غير عادية فقط في الوضوح الذي قدم به حجة أن الذهب الأمريكي يمكن أن يُمكن إنجلترا من هزيمة إسبانيا الهابسبورغية Habsburg Spain في أوروبا. لقد ظلَّ استخراج الأموال من العالم الأوسع لإنفاقها في أوروبا هو الهدف المهيمن للنشاط الأوروبي حتى أواخر القرن الثامن عشر، مع ظهور التفوق العسكري الغربي بشكل متزامن مع "الاختلاف الكبير" 'Great Divergence'³.

يختتم المؤلف الكتاب بدراسة كيف حقق الأوروبيون أخيراً هيمنة عسكرية، لكنهم فقدوا إمبراطورياتهم في منتصف القرن العشرين. يميل هذا التقييم إلى التقليل من تأثير نزاعين عالميين ومعارضة الولايات المتحدة للإمبريالية الأوروبية⁴. إن استمرار الإمبراطوريات العسكرية القارية، بما في ذلك الصين وروسيا، حتى القرن

¹ شركات تجارية تتمتع بامتيازات خاصة ممنوحة لها من الدولة، وعادة ما تكون وفق ميثاق ملكي. نشأت معظم هذه الشركات في أوروبا في القرنين السادس عشر والتاسع عشر، في إنجلترا واسكتلندا والجمهورية الهولندية وإسبانيا والبرتغال وفرنسا. ومن أشهر هذه الشركات شركة الهند الشرقية التي تأسست سنة 1600. (المترجم)

² رجل دولة إنجليزي وعسكري وكاتب ومستكشف. أحد أبرز الشخصيات في العصر الإليزابيثي، لعب دوراً رائداً في الاستعمار الإنجليزي لأمريكا الشمالية، وقمع التمرد في إيرلندا، وساعد في الدفاع عن إنجلترا ضد الأسطول الإسباني وتولى مناصب سياسية في عهد إليزابيث الأولى. (نقلاً عن ويكيبيديا-المترجم)

³ يشير المؤرخون أحياناً إلى الثورة الصناعية على أنها تؤشر على "الاختلاف الكبير" حيث قفزت الثروة الكبيرة للصناعة فجأة في أوروبا وأمريكا الشمالية قبل أي منطقة أخرى في العالم. (المترجم)

⁴ فات مراجع الكتاب الإشارة إلى الكفاح المرير الذي خاضته الشعوب الخاضعة للإمبراطوريات الأوروبية للتخلص من الاستعمار والهيمنة. كما أن معارضة الولايات المتحدة للإمبريالية الأوروبية مشكوك فيها وقابلة للنقاش.



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

أوراق في التاريخ الاقتصادي

الحادي والعشرين، الذي ما يزال محل نزاع، يعكس النموذج الروماني السائد لإمبراطورية برية متجانسة عن طريق الغزو والثقافة واللغة. إن هذه الإمبراطوريات تسعى إلى الأمن ضد الغزو من خلال التوسع الأرضي وإغلاق أسواق الأراضي المحتلة أمام التجارة الخارجية.

هذا الكتاب نص نقدي لمؤرخي الإمبراطوريات والجيوش، الغربية وغيرها، لأسباب ليس أقلها أنه مصمم بشكل مثالي لإشراك وتشجيع الطلاب في التاريخ والعلاقات الدولية، وخاصة في المؤسسات التي تقوم بدراسة الحرب والإمبريالية عبر التخصصات الأكاديمية المختلفة. وتجدر الإشارة إلى أن شارمان، أستاذ العلاقات الدولية، يلوم زملائه لسيرهم وراء الافتراضات المعيبة للمؤرخين المعنيين ببناء النظام ■ .system-building historian

* أندرو لامبرت، زميل كينغز كوليج، وأستاذ تاريخ البحرية.

Andrew Lambert is a Fellow of King's College London and Laughton Professor of Naval History. He is the author of *The British Way of War: Julian Corbett and the Battle for a National Strategy* (Yale, 2021) and *Seapower States: Maritime Culture, Continental Empires and the Conflict That Made the Modern World* (Yale, 2018), winner of the 2018 Gilder Lehrman Book Prize in Military History.

(**) مصباح كمال، كاتب في قضايا التأمين

تمت الترجمة بتاريخ 18 كانون الأول 2022

حقوق النشر محفوظة لشبكة الاقتصاديين العراقيين. يسمح بإعادة النشر بشرط الإشارة إلى المصدر .

22 كانون أول / ديسمبر 2022

<http://iraqieconomists.net/ar/>